الفصل السابع

مناقشة الأصالة
THE AUTHENTICITY DEBATE

تعدّ الأصالة، في مجال التراث، واحدة من أكثر الموضوعات التي أُثيرت في السنوات الأخيرة (Fawcett and Cormack 2001; Fees 1996; Rogers 1996; Selwyn 1996). فالأصالة هي الأساس للسياحة التراثية؛ لأن المنتجات المعروضة، في كثير من الأحيان، تمثل إعادة لإبداعات ماضي المنطقة فيما يتعلق بكل من المناظر الثقافية والمعمارية. إن الارتباط الموجود بين التراث والتاريخ والعمارة يثير الاهتمام حول كيفية عرض الماضي بأصالته. وكما أشار أشورث وتنبردج (Ashworth and Tunbridge 2000) أن هناك أنواعاً كثيرة من الأصالة مرتبطة بموضوع، مبنى أو موقع معين، مثل: المبدع، والمادة، والوظيفة، والمفهوم، والتاريخ، والتناسق، والسياق. ومع غياب ثقافة المحافظة على التراث وتخطيطه حتى منتصف الستينيات من القرن الماضي، كانت كيفية تحقيق الأصالة هي جوانب البيئة المعمارية التي تعرضت للتدهور ونقص الاهتمام، وبعد منعها من التعرض للمزيد من التدهور أصبحت متعلقة بالترميم، والصيانة، والإصلاح، وإعادة البناء. ربما، إذا تم قبول أن الأصالة كمحور أساس في التراث حيث الاهتمام بالأماكن فإن هذا لا يمكن أن يكون، إلاّ في إطار ما اصطلح عليه كل من أشورث وتنبردج (مدن جوهرة التراث)، والتي تعرف بأنها: "باعتبارها عادة صغيرة، فهي مدن تكون مواردها التاريخية مثيرة، وعلى نطاق واسع، وكامل" (Ashworth and Tunbridge 2000: 155)، حيث بقي الماضي سليماً بتغيير بسيط أو دون تغيير.

ترتبط الأصالة بتصوير الماضي على نحو دقيق. وفقاً لبوتشر-يونجهانز (Butcher-Younghans, 1993: 189)، فإن الوصف الدقيق للتاريخ ضروري للعملية الإرشادية، "سواء كانت حياة شخص سياسي، أو حدثاً تاريخياً وقع في مكان ما، أو تاريخاً يكشف غموض قصر بذاته". مع ضمان أن أي قصة تروى تقوم على أساس متين، وتتصل بحقيقة أكيدة. بيد أن هذا لا يحل مشكلة ضمان الدقة في السجل المكتوب للتاريخ نفسه. ففي حين يعني التراث أشياء كثيرة مختلفة على النحو المبين في الفصل التمهيدي، وغالباً ما يكون إعادة إنشاء ماضٍ منتقى، فهو تلك العناصر التي يقرر المجتمع أنها جزء من التراث، المراد منها أن تذكره وتشعره بالفخر تجاهها. وينبغي أن يشمل التراث أيضاً،

تلك العناصر التي لا يهتم المجتمع بالكشف عنها، ولذلك فالدقة، والأصالة ينبغي أن يعكس كلاهما الآخر. ويتمثل التحدي أمام مديري التراث في "تفادي ذكر أي تراث أو تاريخ له ذكرى مأساوية في ذاكرة شعب ما" (Kavanagh 1983: 140).

على النقيض من مواقع التراث، ترتبط مناقشة الأصالة بالتجارب التي يأخذها السياح معهم إلى أوطانهم. وتزخر الكتابات السياحية بكثير من الأمثلة على أن كثيراً من الأحداث التراثية يتم تحديها على أساس المدى الذي تكون فيه المنتجات مصطنعة ضد كونها حقيقة وأصيلة (cf. MacCannell 1973; Craik 1995; Herbert 1995a)، على الرغم من أن هذا قد تغير بناء على الثقافة التي يتم تناولها، وتكون راسخة في الاستخدام الفعلي للتجربة ذاتها (McIntosh and Prentice 1999).

داخل عالم التراث، وضع برونر (Bruner 1994: 399-400) تصنيفاً مكوناً من أربعة أجزاء للأصالة: أولاً، هناك ما يمكن أن يسمى "إعادة الإنتاج الأصلية". هذا النوع من الأصالة يشير إلى إبراز المنتج بالمظهر والشكل الأصلي؛ مع ما يهدف إليه معظم المسؤولين والمرشدين من جعل الموقع ووظائفه موثوقة ومقنعة. وهذه هي المهمة الأساسية لموظفي المتحف؛ يجعل مصداقية للموقع لدى الجمهور الزائر. وثانياً، المعنى الآخر للأصالة، عندما لا يشبه الموقع الظروف الأصلية فحسب، بل هو صورة كاملة طبق الأصل دون أي شك، ودقيق تاريخياً، كما يراه الباحثون. والأمر الثالث للأصالة، يعني الأصل بدلاً من نسخه، بمعنى أن أي شكل من أشكال الاستنساخ أو التعديلات من شأنه أن يجعل المواقع زائفة. في الكثير من المواقع التاريخية فإن هذا المستوى من الأصالة أمر يصعب تحقيقه، على الرغم من أن بعض المباني، أو الأعمال الفنية هي أصلية، ففي معظم الحالات يتم الإيتاء بأخرى لتكملة العرض؛ لذلك ففي معظم الحالات لا يتحقق هذا الشكل من الأصالة. المعنى الرابع للأصالة: ينطوي على شعور السلطة أو الاعتراف القانوني، على الرغم من أن الأسئلة غالباً ما تنشأ حول من له السلطة حول الأصالة والقوة. في هذا المعنى، يمكن أن يكون موقع ما أصلياً؛ لأنه يمثل مكاناً معتمداً من قبل السلطة، وممثلاً لموقع ذي أهمية تاريخية. فعلى سبيل المثال يعدّ المتحف الحي الخلوي (في الهواء الطلق) في مدينة سالم الجديدة New Salem، في ولاية إيلينوي (وطن الرئيس أبراهام لينكولن في سنوات الشباب)، قد أضفت عليه الشرعية من قبل ولاية إيلينوي باعتباره مدينة سالم الجديدة الحقيقية. في هذه الحالة، ليس هناك سوى ولاية واحدة وافقت على مدينة سالم الجديدة (Bruner 1994). وهكذا، فهو يمثل موقعاً أصلياً.

مناقشة الأصالة التي تعرض في هذا الفصل، تقوم على محورين رئيسين للتفكير: أولاً، بحث السياح عن الأصالة. وثانياً، أن الواقعية التي يظهرونها هي تشويهات للماضي. فيما يتعلق بالأول، فالنقاش يدور حول رغبة السياح في البحث عن الأماكن والتجارب الأصلية واعتراف صناعة التراث بذلك، وما إذا كان السياح في النهاية سيدركون أو يهتمون بكون ما يقومون بتجربته مصطنعاً، وأن التراث المعروض عليهم يأخذ الطابع السلعي. وأخيراً

فإن (الواقعية) خمسة أنواع مختلفة من الماضي المشوه تم تناولها في هذا الفصل، وهي: الأماكن المصطنعة، والأصالة النسبية، والدخلاء العرقيون، والماضي الطاهر والمثالي، والماضي المجهول. ويبدأ النقاش من خلال النظر إلى السياح وبحثهم عن الأصالة.

السياح والبحث عن الأصالة

Tourists and the Search for Authenticity

منذ مدة طويلة كانت هناك وجهة نظر خاصة بأن الناس يسافرون بحثاً عن أماكن وتجارب أصلية (MacCannell 1973, 1976; Moulin 1991)، على الرغم من أن النظرة الأكاديمية للأصالة غالباً ما تختلف تماماً عن شكل الأصالة التي يبحث عنها السياح (Cohen 1988). أوضح بحث قام به موسكاردو وبيرس (Moscardo and Pearce 1986) أن الأصالة تمثل للسياح أمراً مهماً في المواقع التاريخية، وتشمل جزءاً كبيراً من الجاذبية لزيارتهم. ويتحدد رضا الزوار في الحقيقة إلى حد ما من خلال تصوراتهم أن التجربة حقيقية أو أصلية. هذه النظرة للأصالة يتوقع لها أن تزيد في المستقبل، لأن الناس، في العالم الذي تغزوه اليوم الأماكن (الديزنية [نسبة إلى ديزني لاند] أو الفيجاسية [نسبة إلى ولاية لاس فيجاس] سيكونون في حاجة ورغبة عميقة، لزيارة البيئات الطبيعية والثقافية الأصلية (O'Meara 2000: 44). بالنسبة لكثير من السياح، يتجلى هذا في الرغبة في زيارة الشعوب الأصلية؛ لأنهم في أذهان السياح، ويمثلون المواطنين الأصليين الحقيقيين، الذين يعيشون في الأماكن الحقيقية، ويعيشون التاريخ الحقيقي (Moulin 1991; Ryan and Crotts 1997).

يبدو أن منظمي الرحلات السياحية وغيرهم من موردي خدمات السفر متفقون على أنّ الناس يبحثون عن الخبرات الأصلية، حيث يلاحظ عليهم استخدام مصطلحات مثل: "الحقيقية"، "والصحيح" "والأصلية" بصورة مفرطة في مطبوعاتهم الترويجية. وفقاً لهيربرت (Herbert, 1995a: 45)، فإن "بعض الزوار، وإن كانوا أقلية صغيرة، يبدون اهتماماً بالغاً في أصالة المواقع، ويخيب ظنهم إذا لم تكن الأمور "حقيقية". المثال التالي يدلل على ذلك في حالة وجود طقوس استهلالية في بابوا – غينيا الجديدة، والتي تم أداؤها للسياح:

> انتهى هذا التأكيد الجماعي للسلطة الذكورية في غضون ٢٠ دقيقة عندما قال أحد الساخرين في لغة بسيطة: "إن القانون انتهى الآن، علينا الوقوف، وسيقوم السياح بالتقاط الصور". ثم تحرك أربعة من شاكلته، ووقفوا في صف مقابل للسياح، ثم أعطوا الأوامر التالية: "صفق بيديك. إن حكم كوليم وبان ... انتهى، بل انتهى الآن، لقد أكملناه. حسناً، يمكنك التقاط صور لنا الآن. صفق بيديك". وقد أبلغ المرشد السياحي السياح باللغة الإنجليزية أنهم ينبغي أن ينحنوا وأنه قد وُجّهت لهم الدعوة لالتقاط الصور. انحنى السياح، وأخذ معظمهم صورة أو اثنتين على الرغم

من بعض التردد. ويبدو أنهم أحسوا بالضيق والارتباك في هذه المرحلة. فقد حدد مؤدو الأداء فجأة للسياح على اعتباره مصطنعاً، فيما يخص السياح، وليس للشامبري أنفسهم، وهذا يستدعي السؤال عن أصالته (Errington and Gwertz 1989: 49، ونقلت في Balme 1998: 68-9).

تقترح المناقشات أن السياح، سواء كانوا يعرفون ذلك أم لا، لا يسعون في الواقع للبحث عن تجارب أصلية تكثفت في السنوات الأخيرة. بالنسبة لبورستين (Boorstin 1964)، تعدّ أشباه الأحداث، والمنتجات الاصطناعية والتجارب المرسومة، مستوطنة في السياحة، لأن هذا هو ما يرغب فيه السياح؛ لأنها تتضمن شعوراً زائفاً للواقع. وقد ناقش ماكانيل (MacCannell 1976) وبورنت (Burnett 2001)، بأن هذا قد لا يكون مقصوداً؛ لأنهم قد يكونون مجرد ضحايا غير عارفين، لميل السياحة لعرض حكايات خيالية كوقائع ونماذج مقلدة للواقع. ويبدو أنهم سعداء بالأماكن الزائفة، لأنهم غير قادرين على إدراكها على هذا النحو (Moscardo 2000).

في المقابل، يناقش أوري (Urry 1990, 1995) أنَّ السياح يمكنهم فهم الطبيعة المحاكاة للسياحة، ولكن في بعض الأحيان يسعى سياح ما بعد الحداثة للبحث بنشاط عن التجارب المبدعة كجزء من رغبتهم في المتعة، والقيمة التي يضفونها على الاصطفاء" (Moscardo 2000: 8). بعض السياح يرغبون في المزيد من الأصالة؛ لأنها أفضل من الواقع المصطنع. فالناس يريدون تجربة رائعة وحقيقية، لما يعتقدون ما كان عليه الماضي (Boniface and Fowler 1993; Bruner 1994). وهكذا، على الرغم من رغبة الكثير من الناس في التجربة الأصيلة، فالإحياء قد تكون أكثر أهمية من الأصالة (Wall 1989)، لأن الاستنساخ التجاري للتراث قد يكون على القدر نفسه من جودة المنتج الأصيلة، في تلبية احتياجات السياح (Robb 1998; Tuan 1977). فالزوار في معظم الحالات، لا يبحثون عن الأدلة التاريخية العلمية. بل قد يكونون مهتمين جزئياً بالواقع التاريخي. وبدلاً من ذلك، فإنهم يبحثون عن تجربة (Schouten 1995a: 21). يُسمي براون (Brown 1996) المواقع التاريخية التي توفر هذه التجارب "المزيفات الحقيقية" – فهي جوهرياً زائفة، لكنها ما زالت قادرة على إثارة مشاعر حنين حقيقية.

هذه المناقشة الأخيرة مهمة لجواذب التراث، لأن أحد الكتاب ناقش أن:

"... معظم المقاصد السياحية، وبالتأكيد تلك التي ترمي لسوق السياحة، كبيرة العدد، لا تقصد، ولم يقصد بها أن تكون أمثلة عن العالم الحقيقي. فمقصد الإجازات، بالنسبة لمعظم الزائرين، ليس عالماً حقيقياً، فهو عموماً عالم وهمي ومرغوب في بالنسبة للسياح اليوم، يبدو أن معظمهم يرغب في النظر للسعادة، حتى وإن كانت مشهداً مصطنعاً. وكل ما يرغبون في أخذه معهم عند العودة، وبصورة مهمة، هو أنفسهم، سليمة، ونشطة، وسعيدة، ومشاعر وذكريات طيبة" (Butler 1996: 93).

الأصالة المصطنعة والمتاجرة بالتراث Staged Authenticity and Commodified Heritage

قادت رغبة السياح في تجربة التراث الأصيل، بالإضافة إلى ما يعانوه من نقص مشترك في التمييز بين الواقع والزائف، إلى عرض ما أسماه ماكانيل (MacCannell 1973, 1976) "بالأصالة المصطنعة"، والتي تشير إلى سلسلة من المراحل التي مرت بها الظروف والمناطق المحلية، من حيث كونها مصطنعة للاستهلاك السياحي. وقد اقترح أن مناطق وأماكن الواجهة التي يكون فيها السياح على اتصال مباشر مع الشعوب والبيئات المحلية، قد زينت وعرضت بشكل ظاهري لتشبه الأماكن والشعوب والممارسات للبيئات الخلفية، والتي يكون وصول السياح محدوداً. وتعد المرحلة الخلفية في هذا السياق هي الحقيقة والأصالة، بينما المرحلة الأمامية هي الاصطناع، أو عدم الأصالة في المقدمة، والتي يراها السياح ويقومون بتجربتها.

أوضح بحث بيوك (Buck 1978) عن النظام القديم لـ"أميش" Amish في بنسلفانيا كيف استخدم المجتمع تجارب الأصالة المصطنعة "المرحلة الأمامية" بشكل مقصود لإشعار السياح بالأمان، ومن ثم تقليل الاحتكاك المباشر "المرحلة الخلفية" مع العالم الخارجي. إجراءات مماثلة اتخذها القرويون الكوزاكي في اليابان حيث أوجدوا – بواعي – تقاليد ومناسبات مصطنعة للسياح حتى يتمكنوا من إخفاء تقاليدهم الحقيقية بعيداً عنهم (Creighton 1997). وبهذه الطريقة، ذهب بعض موردي خدمات السفر إلى تقديم المناطق الخلفية الزائفة للخارجيين، ولم يستطع السياح فعلياً الهروب من هذا الوضع الزائف (Desmond 1999; MacCannell 1976; Moscardo and Pearce 1986).

في كثير من الحالات، على النحو المبين أعلاه، يبدو أن السياح غير قادرين على التمييز بين الأصالة المصطنعة والتجارب التراثية الحقيقية. ومع ذلك ناقش أن كثيراً من السياح يدركون الفرق. وفي الحقيقة، فقد اقترح كوهين (Cohen 1979) تصنيفاً للأوضاع في علاقتها بالتجارب السياحية الأصلية (الشكل رقم ٧,١)، التي تأخذ بأفكار ماكانيل MacCannell خطوة إلى الأمام: النوع الأول، التجارب الأصيلة، وهي التي يكون فيها الوضع "حقيقة موضوعية"، ومقبولة من قبل السياح على أنها حقيقة. من المرجح أن هذه الصدامات ربما توجد بشكل كبير في الطريق السياحي المألوف في مناطق المرحلة الخلفية لماكانيل. والنوع الثاني، الأصالة المصطنعة. في هذه الحالة، يكون الوضع مصطنعاً أو مجهزاً للسياح، ولكن لا يستطيع السياح تمييزه عن الحقيقة. هنا المنطقة أو مورد الخدمات يقدمان للسياح وصفاً مثيراً زائفاً كالحقيقي. يشير كوهين إلى هذا الوضع بـ"الفضاء السياحي الخفي". والنوع الثالث، إنكار الأصالة. وعلى الرغم من أن المشهد يعرض كحدث حقيقي، إلاّ أن السياح يسألون عن مدى صحته. والنوع الرابع، الأصالة المبدعة. وفي هذه الحالة يكون الحدث أو مكان الحدث زائفاً، ويعرض على هذا النحو من قبل المنشأة السياحية، ويفهم أيضاً من قبل السياح على أنه زائف. هذا الوضع يطلق عليه كوهين "الفضاء السياحي العلني". أشار كوهين (Cohen 1979) كذلك إلى أن هذا يمكن أن يكون نموذجاً عملياً، حيث يصبح الوضع الأول ثانياً، ويغدو الوضع الثاني رابعاً في التوقيت.

	ينظر السياح للتجربة على أنها حقيقية	ينظر السياح للتجربة على أنها مدرجة
تقدم مشاهدة حقيقية	1. تجربة أصيلة	3. الحرمان من الأصالة (اشتباه مدرج)
تقدم مشاهد مدرجة	2. أصالة مدرجة (فضاء سري للسائح)	4. أصالة مبدعة (فضاء مكشوف للسائح)

الشكل رقم (٧,١). أنواع الأصالة في حالات السائح. المصدر: (Cohen 1979: 76).

ناقش موسكاردو وبيرس (Moscardo and Pearce 1986) أنَّ أصحاب النظريات الأولى للأصالة أهملوا إمكانية تحقيق تصور السياح لتجارب أصلية، من خلال التفاعل مع الناس في البيئات السياحية. إن زوار التراث الذين يشعرون بأنهم تعلموا واكتسبوا معارف جديدة من خلال زيارتهم قد وجدوا بوضوح قدراً من الأصالة (Moscardo and Pearce 1986)، على الرغم من أن كوهين وماكنيل يلمحان إلى أنهم لم يفعلوا. من هذا المنظور، اقترح موسكاردو وبيرس أن المشاهد السياحية يمكن تصنيفها إلى أربعة أنواع:

١- أناس أصليون، في بيئات أصلية، وهم، استناداً إلى أفكار ماكنيل (MacCannell 1979)، ناس من المرحلة الخلفية في منطقة من المرحلة الخلفية.

٢- أناس أصليون، في بيئات غير أصلية (ناس من المرحلة الخلفية في حالة من المرحلة الأمامية).

٣- أناس غير أصليين في حالات غير أصلية (ناس من المرحلة الأمامية في سياق المرحلة الأمامية).

٤- أناس غير أصليين في بيئات أصلية (ناس من المرحلة الأمامية في منطقة من المرحلة الخلفية).

هذا المفهوم للأصالة المصطنعة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم مماثل يسمى التسليع commoditisation، الذي يقترح عدم قدرة السياح على التمييز بين الأماكن والتجارب الأصلية وغير الأصلية، ورغبات موردي الخدمات في توفير تجارب أصلية (المرحلة الأمامية)، أصبحت الأشياء والأحداث، التي لها معنى روحي أو ثقافي؛ لتصبح سلعاً لاستهلاك السائح، وينتج عن هذه العملية الخاصة بتغيير شكلها ووظيفتها ضياع الكثير من قيمتها التراثية. "وعندما تكون هناك فجوة بين الحقائق التاريخية، وتوقعات السياح، سيتم تعبئة الأوهام وبيعها" (Keesing 1989: 32). وبالمثل، يتلف التسليع السياحي ثقافات الأقليات، من خلال تبسيط وتعبئة الثقافات وتعبئتها في "٣٠ دقيقة" ترفيهية وتذكارات رخيصة (Ryan and Crotts 1997: 900). وبهذه الطريقة، يُعدَّل التراث الثقافي ويُدمر أحياناً، بمعاملته كجاذب سياحي؛ لأنه يصبح "عديم القيمة للناس الذين كانوا يؤمنون به" (Greenwood 1989: 173).

تعدّ الرقصات التقليدية وغيرها من العروض واحدة من أكثر ما يستشهد به من الأشكال الثقافية التي تأثرت بهذا النحو؛ لأن هذه الرقصات نفسها عندما تعرض على السياح، تصبح مجموعة من العلامات، وليست مجموعة من الرموز (Simpson 1993: 167). لقد درس عدد من المؤلفين هذا الوضع في مجموعة من المواقع (Balme 1998; Boissevain 1996; Hughes-Freeland 1993; Picard 1990; Tahana and Oppermann 1998)، وأحد أكثر الحالات التي تم التدقيق فيها هي المركز الثقافي البولينيزي ذو الـ١٨ هكتاراً في هاواي. الانتقادات التي وجهت لهذا المركز هي: انتحال كثير من الرقصات البولينيزية، وصناعة الحرف والعروض الثقافية التي تركز على برامج مصطنعة ومفرطة في اتجاهها العرضي، والتي لها علاقة بسيطة مع الواقع من حيث الأزياء، وأشكال الرقص والمؤدين (Douglas and Douglas 1991; Webb 1994) (اللوحة رقم ٧,١). على سبيل المثال، استهجن بالم (Balme 1998: 62) بشدة التنكر الثقافي في عروض المركز الروتيني، الذي يضم الجمهور، كما هو الحال عندما يقول أحد المؤدين للمتفرجين: "عندما أخرج، أريد منكم أن تصفقوا لي"، أو عندما يشاركهم في التصفيق وممارسة الإيقاع، أو ربما أسوأ من ذلك، عندما يدعا الحضور إلى المسرح لارتداء التنورات المصنوعة من النباتات، والرقص، والتي ألهمت دوجلاس ودوجلاس (Douglas and Douglas 1991: 64) إلى استنتاج أن "كل هذا كان له عنصر قوي، في الرقص والتمثيل الهزلي أكثر من التقليد الثقافي الخاص به". وبالمثل، فقد تم محاكمة المركز بقسوة بسبب غياب سعة التفكير والعمق بشأن عدم تقديم لمحات من جميع الجزر البولينيزية (Douglas and Douglas 1991).

اللوحة رقم (٧,١). مؤدون في المركز الثقافي البولينيزي، هاواي.

وفي الدفاع عن المركز، اقترح أحد الكتاب أن الموظفين والمديرين يدركون أن المنتج الذي يقدمونه سطحي، ولكن لقصر الوقت الذي يقضيه الزوار في المركز نسبياً، فإن بعض التصورات واللمحات في الحضارات البولينيزية "شيء أفضل من لا شيء على الإطلاق" (Stanton 1989: 249). لا يدعي المركز إعطاء رؤى أصلية حقيقية عن الثقافات البولينيزية. "كنموذج وليس حقيقة"، توجد عملية اختيار العناصر الثقافية لإظهارها كمسلمات "ثقافة زائفة"، والتي لن توجد في أي مكان اليوم، في مختلف الجزر البولينيزية (Stanton 1989: 252). يهدف المركز بدلاً عن ذلك الاشتراك في قصاصات وقطع من الثقافة، التي يمكن أن تكون قد حدثت في السابق في شكل ممتع، والذي لا يمكن مساعدته هو توقعات السياح "الساذجة أو الجاهلة" (Stanton 1989: 253).

أحد أكثر الأمثلة شيوعاً للثقافة السلعية هي "ألاردي" Alarde، وهو احتفال قديم في فيونتيرابيا، بأسبانيا، والذي كان ذات يوم ذكرى مهمة في التاريخ المحلي. ومع تركيزها على تلبية الطلب السياحي، أمرت حكومة البلدية أن تقام احتفالات ألاردي مرتين في يوم واحد، لجذب المزيد من اهتمام الزوار. خلال عامين فقط، فقد الاحتفال جاذبيته للسكان المحليين، ولم تعدّ مناسبة احتفال للقرويين وأصبح مشهداً سياحياً، ووجد قادة المجتمعات المحلية صعوبة في إثارة الحماس بين السكان الأصليين على المشاركة. وما "كان طقساً حيوياً ومثيراً أصبح إلزاماً يجب تجنبه" (Greenwood 1989: 178). لم يعد المواطنون يشاركون فيه بأنفسهم. وكان على مسؤولي المجتمعات المحلية أن يدفعوا لهم للمشاركة، وذلك لأنه صار سلعة.

> "أصبحت الطقوس أداءً مقابل المال. وذهب المعنى ... هذا القرار ينتهك بشكل مباشر معنى الطقوس، ويدمر نهائياً أصالتها وقوتها بالنسبة للناس ... جاعلاً من ثقافتهم عرضاً عاماً لا يأخذ سوى القليل من الدقائق من الجهات المحلية المنظمة، ومع هذا العمل مات ٣٥٠ عاماً من الطقوس" (Greenwood 1989: 178-80).

يستتبع التسليع أكثر من مجرد تغليف بسيط للثقافة والتراث للاستهلاك السياحي. وهناك مسؤولية بشأن إيجاد أشياء وأحداث إضافية ومثيرة؛ لأن السياح أصبحوا غير راضين عن العالم العادي (أو الحقيقي). هناك حاجة لتقديم المزيد من التجارب المثيرة والغريبة للسياح التي تُزين لتبدو أصلية (Cohen 1988). فيما يختص بالسياحة التراثية، فقد زاد الحنين إلى الماضي وتعمق بشكل جعل كل طائفة اليوم تتنافس بتحيز في اتجاه مزيد من البقايا الأثرية المثيرة للماضي (Lowenthal 1985: 3). الحنين إلى الماضي جعل الناس يبحثون بعمق عن معاني الأمس، على الرغم من حقيقة أن ما يريدونه قد لا يكون قد حدث. يريد الناس أماكن، وأعمالاً فنية، وتجارب سلعية، تكون أبعد في الاعتقاد من المعنى الاستثنائي، أو بمعنى آخر: ماكدونالد وديزني لاند McDisneyisation (O'Meara 2000). "في

المهرجان السياحي المقدس نحول المسألة الجامدة إلى "معالم تراثية" ... تعطى الأشياء معاني قد تذهل منشئيها" (Home 1984: 29)، وهو ما وصفه بون (Boon 1982) بأنه "مبالغة الثقافات".

ظهرت مفاهيم المبالغة الثقافية للدلالة على هذا الموقف الخاص بـ "أفضل من" بدلاً من "الأفضل"، "أكثر إثارة" بدلاً عن "أكثر روعة"، "أكثر أصالة" بدلاً عن "الحقيقي". والطلب الآن أصبح على المنتجات التي هي "أكثر أصالة"، أو أكثر غرابة (Burnett 2001; Cohen 1988). لذا، برزت السياحة كأداة لتحقيق أوهام المتفرجين وتلبيتها (Swarbrooke 1994)، لاسيما في مجال الثقافة والتراث، والتي "لم تؤد إلى تشويه الماضي فحسب، بل أيضاً إلى كراهية ثقافة الحاضر" (Hewison 1987: 10). يعتقد هيوسن Hewison أن المبالغة في التراث تصنعُ عالماً من الأوهام لم تكن موجودة من قبل، يتيح استبدال التاريخ الحقيقي، والذي غالباً ما يكون غير مريح، مقارنة مع أشكال الحنين إلى الماضي التي تمنح الراحة.

الماضي المشوه
Distorted Pasts

إن الطلب السياحي على التجارب الأصلية، وما ينجم عنها من انطلاق الثقافات، والأماكن والأحداث تؤدي إلى عدة أنواع مختلفة من الماضي المشوه. يظهر الشكل رقم (٧,٢) خمسة أنواع من الماضي المشوه، نشأت من مختلف الأحداث العالمية، والعمليات التجارية والاقتصادية، والضغوط السياسية، والتوقعات السياحية، وهي كل القوى التي تؤدي دوراً في تشويه الماضي.

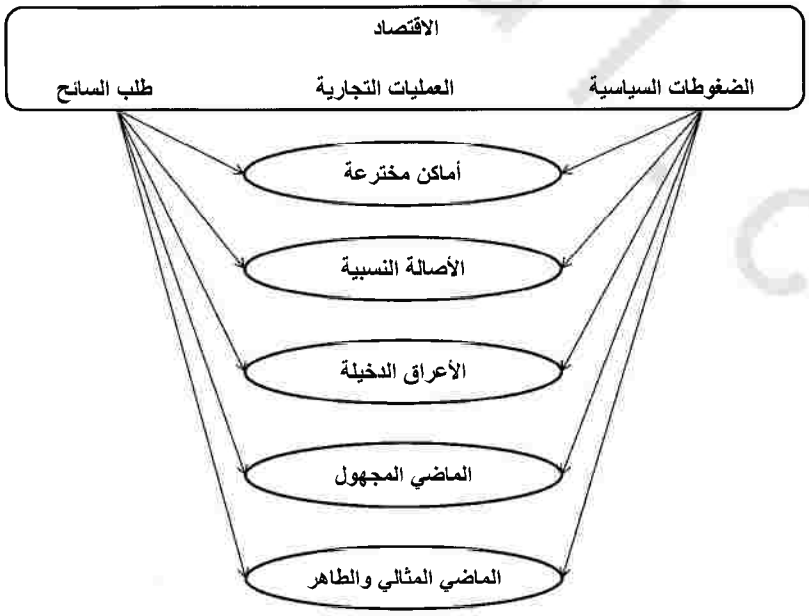

الشكل رقم (٧,٢). أنواع الماضي المشوه.

الأماكن الإبداعية Invented Places

أدت المتاجرة بمنتجات التراث إلى بروز نماذج مقلدة من المواقع والمعالم التاريخية، وإلى ظهور كتابات غير أصلية عن الماضي، والأماكن، والناس، والأحداث. جانب واحد من هذا المنظور هو الأماكن الإبداعية أو الخيالية؛ لأن السياح سيسافرون بحثاً عن الأصالة، حتى عندما لا توجد. مثال واحد من الولايات المتحدة، هو ليبرال Liberal، بكنساس، وهو المكان "الحقيقي" لمزرعة دوروثي في قصة ساحر أوز Wizard of Oz (اللوحة رقم ٧,٢). في الحقيقة لا توجد مزرعة حقيقية، أو أراضي لأوز في كنساس، ولكن الماضي الإبداعي، الذي أوجده فيلم سينمائي، قد شيد ذلك المكان في أذهان الزوار. وهذا أمر شائع في إطار ظاهرة التراث الأدبي، كما هو مبين في الفصل الثاني. فالأماكن التي تصبح حقيقية في أذهان الأطفال، ويتم تذكرها في جميع مراحل الحياة (على سبيل المثال مزرعة بياتريكس بوتر Beatrix Potter's farm)، هي في الحقيقة جزء من تراث هؤلاء الناس، وعندما يزور الناس تلك البيوت، حيث عاش الكتّاب وعملوا، والمناظر الطبيعية التي شكلت أساساً لرواياتهم، "تنطمس الخطوط حيث تتنافس العوالم الخيالية مع تجارب الحياة الواقعية" (Herbert 1995a: 33).

اللوحة رقم (٧,٢). أوز وطريق الطوب الأصفر، ليبرال، كانساس، الولايات المتحدة الأمريكية.

وثمة شكل آخر من هذا، وإن كان لا يستند على الكتابات الأدبية أو صور وسائل الإعلام، هو العرقية الإبداعية. أحد الأمثلة الشائعة على ذلك هو ليفينورث Leavenworth، بواشنطن، وهي بلدة صغيرة نمت خلال القرن التاسع عشر الميلادي، باعتبارها بلدة تعدين وسكك حديدية. خلال فترة الكساد، بدأت القاعدة الاقتصادية للمجتمع تتعثر؛ مما أسفر عن هجر المباني، وارتفاع مستويات البطالة، وهجرة مستمرة إلى الخارج. اختيرت للسياحة لاحقاً في الستينيات من القرن الماضي، كوسيلة لإنعاش الاقتصاد المحلي والمجتمع، ولكن ليس أي شكل من أشكال السياحة، فقد اكتشف اختراع ليفينورث بنجاح كقرية بافارية أصلية، حيث يمكن لسكان سياتل وغيرها من الطوائف، في الولاية وعبر البلاد، تجربة الأطعمة الألمانية (الأصلية)، والموسيقى، والعمارة، والتسوق. وفي هذا السياق، مع ذلك لم تكن ليفينورث، ولا سكانها، بافاريين بأي شكل، بغض النظر عن الترويج لهم (Frenkel 1997; Price 1996).

وبالمثل وصف ريفو (Raivo 2000: 146) صورة طبق الأصل من مناظر الحروب البارزة في أنحاء كثيرة من فنلندا. فهو يصف هذه الحالة: تم إنتاج المناظر التراثية التي تصور ملامح الحرب الشتوية ضد روسيا، وغيرها من المعارك (مثل المخابئ، والخنادق، وحواجز خط المواجهة) في جميع أنحاء البلاد في أماكن مختلفة كوسيلة لإيجاد شعور بالمكان والفترة، وبناء الهوية الوطنية الفنلندية "بعيداً عن خط المواجهة التاريخية"، وفي المواقع التي "لم تظهر على هذا النحو في الماضي".

في سنغافورة، أدى تسليع التراث إلى بناء المسرح الثقافي، حيث يستطيع الزوار الحصول على مذاق "آسيا اليوم". هنا، تمتزج العروض الاصطناعية للتقاليد الإبداعية المشتملة على العناصر الثقافية الصينية والماليزية والهندية، مع الأطعمة وغيرها من أشكال الترفيه. ويظهر الزوار مع "مجموعة من الثقافات، مغلفة بنحو (٤٥) دقيقة من مشهد غير أصلي واصطناعي"؛ لأنه يتناقض مع الرقصات الحقيقية والأوبرا المؤداة التي لا تشكل جزءاً من الثقافة المحلية، كما يقدم وصفاً لفلاحين يزرعون الأرز على الرغم من أن الأرز لا ينمو في سنغافورة، ويبيع الفنون "الوطنية" والحرف اليدوية التي يتم استيرادها من الخارج (Leong 1989: 366).

في عملية سميت هنا بـ"تحديث القديم" the modernisation of antiquity، تقلد مجتمعات العالم المتحضر المباني التاريخية والمناظر الطبيعية في الحياة اليومية الحديثة، مثل افتتاح بنك بواجهة من الأعمدة المصفوفة اليونانية، وقلاع في المتنزهات الترفيهية (Lowenthal 1985). ويمكن اعتبار ذلك وسيلة لتأصيل مباني العصر الحديث بجعلها تبدو قديمة. هذه العملية شائعة في المناطق الحضرية والريفية، حيث تسقف المباني الجديدة، ويتم بناء واجهات تاريخية مقلدة لها.

حجة أخيرة هي أن نقل المباني وغيرها من الأعمال الفنية إلى أماكن غير أصلية، يقلل من قيمتها التراثية؛ لأن الموارد الثقافية تكتسب قيمة عالية للجمهور، عندما يتم تطويرها في مواقعها الأصلية، وفي مواضعها الأصلية. هذا يتعلق بما أطلق عليه بونيفيس وفولر (Boniface and Fowler 1993: 121) اسم ظاهرة "الأشياء المتحركة" moving objects، التي تشير إلى الأعمال الفنية التي تحركت من مواقعها الأصلية إلى مختلف السياقات الثقافية والجغرافية. قد يظل الشيء أصلياً،

ولكن موقعه ليس كذلك. وهذا يثير تساؤلات عما إذا كان هذا تراثاً أصلياً أم لا (Swarbrooke 1994). هناك أمثلة لا تحصى من الأعمال الفنية التي نقلت من مواقعها الأصلية ووضعت في المتاحف أو المجموعات الخاصة. بالإضافة إلى ذلك، توجد أمثلة تبين نقلت فيها مباني كاملة؛ لأسباب مختلفة، مثل ما حصل في مصر "معابد أبو سمبل"، الذي نقل إلى موقع أكثر ارتفاعاً وأماناً بعد إنشاء بحيرة ناصر والسد العالي.

هذا ما يقال أيضاً عن قرية جرينفيلد Greenfield، بميشيغان (الولايات المتحدة)، وهو جمع انتقائي للتذكارات التاريخية، مثل المحل الدائري الذي بنى فيه الإخوان رايت Wright Brothers أول طائرة صغيرة، والمحكمة الصغيرة التي مارس فيها أبراهام لينكولن القانون عندما كان شاباً)، التي تعود إلى نحو ٣٠٠ سنة مضت. على الرغم من أن المباني ذاتها أصلية، ومن ثم في مجملها حقيقية، فإن نقلها من أوهايو وإيلينوي إلى الحديقة الترفيهية في ميشيغان، هو ما جعل بعضهم يعتبرها غير أصلية. وفي حين يناقش اليوم أن نقل مثل هذه المباني يدمر التاريخ، لم تكن هناك سابقة في الوقت الذي قام فيه هنري فورد بنقلها إلى قرية جرينفيلد (العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي). في ذلك الوقت كان كثير من الناس لا يهتمون كثيراً بالتاريخ، وقد دُمر الكثير منه. "مختبر أديسون، بنيو جيرسي – وهو موقع بعض أبرز اختراعات الأمة الجديرة بالاهتمام – كان في الواقع في حالة دمار، مع بقايا مبنى لأديسون يستخدم كخردة أخشاب"، وعندما عاد خُذل فورد من قبل المجتمع، وأعاد جمع الخشب من الحظائر وأقفاص الدجاج لإعادة بناء المختبر (Lassen 1999: 46).

الأصالة النسبية Relative Authenticity

في خضم النقاش من المهم أن ندرك أن الأصالة هي مصطلح نسبي. الأصالة، تبعاً لكثير من أصحاب النظريات، هي ظاهرة غير موضوعية أوجدتها التجارب الشخصية، والتأثيرات الثقافية، والتاريخ الوطني. فيما يتعلق بالأخيرة، يَسرد التاريخ من منظور الفائزين في الحروب، وليس من وجهة نظر المهزوم.

تؤثر الثقافة السائدة على فهم الجمهور "للحقيقة". على سبيل المثال:

> "نحن نصور إنسان البثكانثروبوس *Pithecanthropus erectus*، منتصب القامة، في متحف إندونيسي بملامح وجه الملايو، لا لأنه لا يوجد أي دليل عليهم، ولكن لأن ذلك هو السبيل الذي يرى الإندونيسيون من خلاله البشر. في متحف التاريخ الطبيعي في واشنطن العاصمة، يظهر إنسان النياندرتال Neanderthal، معطياً إيماءة مهينة لزوجته. إننا لا نملك دليلاً عما إذا كان هذا هو الحال، ويخبرنا العرض الكثير عن طريقتنا في فهم العالم من حولنا أكثر ما يفعله عن أسلافنا" (Schouten 1995a: 26).

ينبغي ألاّ ينظر لمعاني الأشياء التراثية على أنها مستمدة مباشرة من الشيء نفسه. وبدلاً عن ذلك، فهي الطريقة التي يعرض بها الشيء، والخلفية الاجتماعية الثقافية للشخص الذي يعرضها بما يعطي المعنى (Laenen 1989; McLean 1998; Pearce *et al.* 1996). ولذلك، فإن معنى التراث والأصالة يبنى ثقافياً، ويتغير من سياق إلى آخر (McLean 1998: 247). حتى اليونسكو تعترف بهذه الحقيقة ؛ ففي وثيقة "نارا" عن الأصالة، التي تنص على أن معنى الأصالة يختلف بين الثقافات، ويعتمد على السياقات المختلفة لمصادر المعلومات (Burnett 2001).مثلما يمكن أن تتأثر الأصالة وتحدد في النهاية بالتمثيلات الثقافية والاجتماعية، فإنها سياق ومكان محدد. مدن الأشباح ghost towns تقدم خير مثال على ذلك، لأنها تختلف عن الأنواع الأخرى من أماكن التراث في هذا الصدد. تقاس أصالة مدن الأشباح بمدى تدهور حالتها وتشوهها. في معظم هذه الأنواع من الأماكن، يسعى عمال الصيانة لتنفيذ سياسة "وقف التدهور"، أو "إبقائه واقفاً ولكن جعله يبدو وكأنه ما زال يسقط" (DeLyser 1999: 614). يوفر ديليزر DeLyser نظرة مثيرة للاهتمام في حديقة ستيت بودي، بكاليفورنيا، وهي مدينة أشباح قامت على تعدين الذهب. ما تبقى اليوم، لم يتغير، لم يتم استنساخ أي من المباني، ولم يعد تجميع أي مبانٍ سقطت على الإطلاق ؛ ولم تُضَفْ أي مبان جديدة إلى الموقع، ولم يرمم أي بناء، ولم يتم يُطْلَ أو يُصلح ليبدو جديداً مرة أخرى. في هذا المعنى، فهي مدينة أشباح أصلية (DeLyser 1999: 623). تعتمد أنواع أخرى من المواقع، التي تستمد شعورها بالأصالة من فكرة أنها قد رممت وأعيد بناؤها بحالة دقيقة في وقت ما فيما مضى.

وبالمثل، وفقاً لسواربروك (Swarbrooke 1994)، فجزء من معضلة الأصالة هو ما إذا كان يجب أن تترك الأطلال القديمة كأطلال، أو يعاد بناؤها لتبدو في أقرب مظهر لها كما كانت في الماضي. يشعر بعض الناس بأن الأطلال ينبغي أن تترك وحدها، فإعادة البناء يمكن أن تقلل من أصالة الموقع. وهذا يعكس حقيقة أن الناس يريدون أن تبدو الأشياء القديمة قديمة، استناداً إلى حالتها البالية (Larkham 1995; Lowenthal 1985). كلما كان الشيء قديماً، زادت القيمة التي يمتلكها. "أغلب ما لدينا من السعادة الجمالية في القديم يكمن في الاعتقاد بأن مثل هذه الأشياء في الحقيقة أتت من الماضي البعيد" (Lowenthal 1975: 18). ومع ذلك، وفقاً للونثال (Lowenthal 1975: 26)، "لأننا نشعر بأن الأشياء القديمة ينبغي أن تبدو قديمة، يمكن أن ننسى أنها أصلاً كانت تبدو جديدة". وبالمثل، فإن الناس الذين لديهم ميل للمحافظة على الماضي القديم، لا يهتمون بالماضي القريب (Winks 1976).

وهذا واضح في أريزونا (الولايات المتحدة)، حيث كشفت قيادة السيارات خلال محمية نافاهو الكثير من بيوت الطين التقليدية المهجورة المنتشرة في المشهد الطبيعي. معظمها هجر فقط منذ السبعينياتوالثمانينياتمن القرن الماضي، ولا يجتذب اهتمام السياح. بيد أن منازل الأمريكيين الأصليين المهجورة والمجتمعات المحلية من قبل ٥٠٠ سنة تعدّ أهم الجواذب، ويتم الحفاظ عليها من قبل مصلحة المتنزهات الوطنية الأمريكية (اللوحة رقم ٧,٣). وهكذا، فإن "عامل العمر" يضيف قيمة إلى مباني الهنود الخربة من وجهتي النظر السياحية والأثرية.

اللوحة رقم (٧,٣). أطلال ووباتكي الهندية، أريزونا، الولايات المتحدة الأمريكية.

الأصالة هي أيضاً ذاتية على المستوى الشخصي. ووفقاً لطريقة واحدة من التفكير، يمكن أن يحقق السياح تجربة أصيلة من خلال علاقاتهم مع الناس في البيئات السياحية ؛ لأن الأصالة تظهر من الخبرات الفردية (Cohen 1988; Moscardo 2000; Pearce and Moscardo 1986). وهكذا، قد يكون لسائح واحد خبرة أصيلة، في حين قد لا تكون لآخر في الموقع نفسه (Cohen 1988). أشار هيربرت (Herbert 1995a: 45) إلى ذلك عندما أعلن :

> "إذا كان الزوار يبحثون عن تجربة من زيارتهم التي لها معنى لهم ... هل ينبغي أن نهتم، ما إذا كانت تلك التجربة مبنية على الحقيقة أو الواقع، أو ما إذا كان الاثنان يمكن تمييزهما أم لا؟ الإجابة عن هذا السؤال هي : "ربما لا". إذا كانت التجربة أصيلة للزائر، فهذا كاف".

اكتشف كل من مكنتوش وبرينتيس (McIntosh and Prentice 1999) ثلاث عمليات نفسية متميزة، تفسر قدرة الناس على إيجاد تجارب أصلية خاصة بهم. يشمل الاستيعاب للتعبير عن الاختلافات بين الماضي والحاضر. وكيف كانت الأمور في الماضي تستغل وتجعل الناس يقدرون حياتهم في العصر الحديث. يبرز اقتباس من جانب أحد المشاركين في دراسة مكنتوش وبرينتيس (McIntosh and Prentice 1999: 602) هذه العملية :

> "أود أن أقول إني اكتسبت رؤية عن الماضي. إنه يجعلك تأمل في الحياة بعد ذلك واليوم، وجعلني أفكر فيما قد يكون عليه طفلي إذا كان يعيش آنذاك ؛ كان سيبدأ العمل في العاشرة من العمر ؛ إن

التفكير في آلية العمل، قد يجعله مكاناً مرعباً مع كل هذه الآلات، التي تعمل في آن واحد، والمسائل المتصلة بالصحة. إننا نأخذ بأشياء مثل التعليم والمساعدة الطبية كمسلمات في هذه الأيام ... أنا سعيد لأنني أعيش الآن. أشعر بتقدير كثير لحياتي اليوم".

إن عملية التصور المعرفي هي التي يحقق فيها الناس رؤى أو معلومات جديدة، وهو شيء لم يعرفوه من قبل. لهؤلاء الناس رؤىً جديدةٌ مكتسبةٌ لا تستوعب مع التجربة الشخصية، فعادة ما تكون التجربة الثقافية غير مألوفة. تعطى التصريحات التالية من قبل أحد المشاركين في الدراسة السمات التالية:

"لقد اكتسبت رؤية ما كان عليه العالم آنذاك، وبمصطلحات قوية وحية؛ شعور حقيقي لما كان عليه، لقد كان غاية في الأصالة. إن المفاجأة هي أكبر شيء. لقد علمتني عن طريقة حياة، لم أكن أعرف عنها شيئاً. لقد عرفت عن الثورة الصناعية، ولكن ليس عن ظروف الحياة. أشعر أني تعلمت الكثير، وتعرفت إلى صعوباته" (McIntosh and Prentice 1999: 603).

العملية الثالثة، هي العلاقة الرجعية، وتشمل قدرة الناس على ربط تجاربهم بماضٍ يتذكرونه بصفة شخصية. إنه ينطوي على إعادة إحياء الذكريات، لأن التجارب الجديدة تثيرها من جديد. في هذه التجربة، تصبح الأشياء وتفسيرها شخصية بدرجة عالية وتعيد ذكريات الطفولة، أو السنوات السابقة. على سبيل المثال:

"لقد نشأت مع جدتي في كوخ غير بعيد من هنا، ولذلك أذكر ما كان عليه. أتذكر أنني كنت استحم في حوض من الصفيح، وأتذكر المكواة الأسطوانية والموقد، وجدتي تطبخ الخبز الطازج، وأتذكر المربى المنزلي ... وأتذكر أني جلست في الصفوف المدرسية، وقد بدت واقعية جداً؛ كان للمدرسة الطاولات نفسها التي كانت لدينا في مدارسنا" (McIntosh and Prentice 1999: 604).

الدخلاء العرقيون Ethnic Intruders

نقيضاً للمقدمة المنطقية التي تم ذكرها في الفقرة الأخيرة، قام كل من دوجلاس ودوجلاس (Douglas and Douglas 1991) بانتقاد الأصالة في المركز الثقافي البولينيزي في هاواي، بحجة أن المرونة العرقية، إلى جانب عوامل ترفيهية أخرى موجودة في العروض الثقافية، تجعل الأحداث والجواذب بأكملها غير أصيلة.

وهما يجادلان بأن الأصالة تتضاءل كثيراً في المناسبات الثقافية والمسيرات العرقية، عندما يؤدي السكان غير المحليين دور المرشدين في موقع يعدّ أصيلاً. على سبيل المثال، في المركز الثقافي البولينيزي:

> "يبدو أن مسألة العرقية ... مرنة؛ لأن ... بعض الراقصين من متوسطي الأصالة: على سبيل المثال يظهر أحد الراقصين الذكور مع "الفيجيين" بعد وقت قصير كملاح تاهيتي، وفي وقت لاحق كماوري. تشمل فرقة تونجا أيضاً - مع تغيير سريع للأزياء – فتاه تيجية تعدّ الوحيدة التي يمكن التعرف عليها كفيجية، في زورق فيجي قبل لحظات من ذلك، وتبدو التنانير الراقية الزرقاء على التونغانيين الذكور الضخمين واضحة في الأعلى" (Douglas and Douglas 1991: 62).

لا يزال مراقبون آخرون يؤيدون فكرة تقليص الأصالة خاصة عندما يُستخدم الأجانب في الإرشاد والحفاظ. في جزر كايمان Cayman، على سبيل المثال، يعدّ أكثر المهنيين العاملين في الحفاظ على المتاحف، والاتحاد الوطني، والمحفوظات الوطنية، والمؤسسة الثقافية، من المغتربين الأجانب العاملين بعقود قصيرة الأجل. وقد أسست زيارة أمريكية في الحقيقة الاتحاد الوطني، ومعظم أعضاء مجلس الإدارة هم من الأجانب، والذي يبدو في كلمات أميت–تالاي (Amit-Talai 1997: 61)، أنه أنشأ "أزمة هوية". وفقاً لهذا الدليل ناقش أميت–تالاي بشأن تأثيره (Amit-Talai 1997: 62) أنه قد "قلص صياغة بناء الأمة".

الماضي الطاهر والمثالي Sanitised and Idealised Pasts

ثمة اعتقاد شائع يشير إلى أن السياح، في بحثهم عن التجارب الأصلية في شكل ما، إذا واجهوا فعلاً خبرات أصلية، سوف يتوقفون عن زيارة المواقع التراثية، لأنها سوف تبدو في ظروف يجدها أكثر الناس عديمة الطعم، وقذرة، وبطريقة أخرى لا يمكن تصورها. وذلك لأن الناس يمكن أن يروا فقط الماضي من خلال عيون الحاضر. فالدقة التاريخية، لذلك، لا تكون دائماً متوافقة مع الانسجام البصري والحسي (Barthel 1990). في هذه الحالة يقال عن التراث والأصالة إنهما طاهران، أو إنهما سائغان لتلبية أذواق السياح ورغباتهم (Burnett 2001; Hewison 1987; Hubbard and Lilley 2000; Leong 1989)، ولكن أيضاً لأسباب عملية أو سوقية.

في متاحف التراث المفتوحة "في الهواء الطلق"، والتي يطلق عليها بارثيل (Barthel 1990) اسم المجتمعات الرمزية المصطنعة، توجد الكثير من الأمثلة البارزة على الماضي الطاهر (اللوحة رقم ٧,٤). عادة ما تصور البيئات الاجتماعية المثالية كمجتمعات سعيدة وكادحة، فيها غياب تام للصراع، والسلوك الاجتماعي المعادي، والموت، والمرض، والطلاق، ودور الأيتام، والمجاعة (Barthel 1990; Walsh 1992). أدى ذلك إلى نقد استعمار وليامسبيرج

Williamsburg ، ونقله هوكستابل (Huxtable 1992: 24-5) في جابل وهاندلر (Gable and Handler 1996) ، ليستنتج أن المتاحف في الهواء الطلق والمتاحف تشجع "استبدال الواقع بالخيال الانتقائي" ، وإفساد الطريقة ، التي يفكر بها الأميركيون ؛ لأنها علمتهم أن

> "يفضلوا ويعتقدوا في الصيغة الطاهرة والانتقائية من الماضي ، لإنكار التنوع وسمات المصادفة والاستمرارية ، وتجاهل التراكم التاريخي والإنساني الفعلي ، الذي يجعل سيارات مدننا من نوع خاص من الفن والخبرة ، مما يعني التراكم الحازم للأفضل والأسوأ الذي أوجدناه".

اللوحة رقم (٧,٤). قرية سيبورت ليفينج Seaport Living الغامضة في الولايات المتحدة الأمريكية.

مشاعر مماثلة أعرب عنها من قبل مراقبين لمتاحف التراث الحي (مثل : Barthel 1990; Gable and Handler 1993; Uzzell 1994; Van West and Hoffschwelle 1984; Walls 199). وفقاً لرؤية بعض النقاد (مثل : Hardy 1988: 336) ، يجب على الباحثين والمرشدين الامتناع عن عرض "الماضي النبيل" فقط لصالح تصوير "التاريخ الحقيقي" ، عن طريق البحث "التكامل والتداخل" في سياق أكثر أمانة.

فيما يتعلق بالبيئة المادية ، يشير المتأملون في الأصالة إلى أن جزءاً كبيراً من البنية الأساسية ، الذي تم توفيره لإعداد موقع وظيفي للإرشاد ، وغيرها من استخدام الزائر تَسَبَّبَ في أن يكون المكان أقل أصالة ، لأنها لم تكن جزءاً من الموقع الأصلي. ومن الأمثلة على ذلك المزاريب داخل الكبائن لإعادة توجيه مياه الأمطار ، وسياجات الحيوانات حتى لا تنتشر نفاياتهم في شتى أنحاء المدينة ، والطرق المعبدة ، والحمامات بدورات مياه نظيفة ، وتكييف الهواء ، ووحدات التدفئة ، وصناديق القمامة في جميع أنحاء المدينة ، وآلات التدوير الكهربائية (Bruner 1994). القصور

القديمة، على سبيل المثال، لم يكن لديها مراحيض حديثة أو نظم تدفئة مركزية، إلا أنه تم تركيبها حديثاً لتصبح صالحة لاستعمال للسياح. إذا تركت المدن والمباني التاريخية في حالتها الأصلية، سيعاني السياح في العصر الحديث بالتأكيد من الروائح السيئة، ومشكلات السباكة، والظلام والبرد (Timothy and Wall 1997). في كلمات بارثيل (Barthel 1990: 87)، فإن المتاحف في الهواء الطلق "نظيفة دون سبب. كما أنها ليست سيئة الرائحة. فالرائحة النتنة التي كانت تعم مدينة مثل مدينة (صيد الحيتان) في ميستيك غائبة تماماً". كما أنها تبدو جديدة أكثر مما ينبغي، ولكن هذا قد يعكس رغبات الناس بأن لا تبدو الأعمال الفنية قديمة، حتى لو كانت تاريخية (Lowenthal 1977: 254).

هناك شيء يبدو بسيطاً كطرق الحصاد، قد ينظر إليه على أنه ينتقص من الدقة التاريخية. فالكثير من المؤسسات تقطع العشب بماكينات جز العشب الكهربائية أو البخارية، مع أن الكثير من المناظر الطبيعية التي فسَّرت كانت موجودة قبل ظهور ماكينات الجز الميكانيكية (Reid 1989).

في جعل الماضي أكثر مثالية، هناك أيضاً عنصر من عناصر الذاكرة الانتقائية. فالحنين هو شيء غريب؛ لأنه في عملية التذكر، يميل الناس لتذكر الأوقات الطيبة، أو الأشياء الممتعة من التاريخ، متجاهلة أو حاذفة من ذكرياتها الأوقات والحالات السلبية (Lowenthal 1996). في هذا المعنى، يصبح التراث مشوهاً على كل من المستوى الاجتماعي والشخصي. فالتجربة السلبية في رحلة إجازة يمكن أن تغير المعنى مع مرور الزمن. في النهاية، كما تتلاشى التفاصيل، تهدأ ذكريات الزيارة، لتصبح إعادة تجميع للمتعة والمعتقدات التي "لم تكن بذلك السوء". على المستوى المجتمعي، فالأمر نفسه يمكن أن يكون صحيحاً. فالذاكرة الانتقائية تملي ما يلي:

> "إن منازل المزارع ... والمشاهد المروعة للمرض، وتدني الخدمات الصحية والفساد السياسي والتعذيب المرتبط بالرقّ، يتم تصويرها كرموز لحياة النبلاء المرتبطة بإقطاعيات الرق الاستعمارية، وبعد ذلك تبرر على أنها جزء من إرث العالم الثالث التي يجب أن يتمتع بها السياح" (Dann 1998: 40).

الماضي المجهول The Unknown Past

هذا النوع من التفكير يقترح أن الأصالة الحقيقية مستحيلة؛ لأن الناس في العصر الحديث ليس لهم القدرة على فهم حياة الناس في العصور القديمة، أو أن يعرفوا ما يكفي من تفاصيل حياتهم اليومية لتقديم تفسير دقيق. في كلمات لوينثال (Lowenthal 1985: 214):

> "لا يمكن لرواية تاريخية أن تعيد أياً من الأحداث السابقة بالكامل؛ لأن مضمونها يكاد لا يحصى. فأكثر سرد تاريخي مفصل يتضمن جزءاً ضئيلاً حتى من الماضي المناسب، فالقِدم pastness المطلق للماضي يمنع تركيبه بالكامل".

يفتقر الباحثون والمديرون ومرشدو السياح المعرفة الكافية، لتقديم وصف دقيق للماضي. فالماضي ليس كياناً معروفاً؛ لأنه "ليس هناك رؤية يمكن أن تعيد الماضي كما كان، لأنه ليس حصراً، إنه مجموعة من الأحداث والحالات" (Lowenthal1985: 215)؛ ولأن الناس بالضرورة يرون الماضي من وجهات النظر الحالية، والأصالة يتم بناؤها اجتماعياً (Barthel 1996; Craig 1989; Burnett 2001; Simpson 1993)، فالماضي غامض، وكل ما يمكن القيام به هو تخيل ما كان عليه الماضي (Hewison 1991). حتى لو كانت التفاصيل معروفة، فبعضها يصعب، أو لا يمكن تصوره. "لقد ذهبت للعمل في المناشر لأنني كنت يائساً، كان شكل الأجرة استثمارياً، وكان كل يوم عذاباً، ولكن لم يكن هناك بديل محلي آخر. كيف يمكن أن تجعل من متحف تجربة مثل هذه؟ (West 1988: 58).

أحياناً تصان المواقع في الوقت الذي يعرف عنها الكثير ومن خلال ما يتوفر فيها من التحف الفنية. كتب بارثيل (Barthel 1990: 81): لأنه تم إعادة إنشاء القرية القديمة بستربريدج، ماساشوستس، في لحظة تاريخية تقريبية، "سيبقى دائماً العام ١٨٣٠م في ستربريدج". وفي بيمش في إنجلترا كل شيء "بغض النظر عن زمنه" مجمّد في المرحلة الزمنية نفسها (Bennett 1988: 68). في كل من هذين الموقعين، فإن القضايا والقرارات التي تنشأ سيتم تسويتها، لا من قبل المقيمين في العام ١٨٣٠م، ولكن من قبل المرشدين والقائمين على الأمر في العصر الحديث.

في كثير من الأحيان، يركز المرشدون ومديرو المواقع التاريخية اهتمامهم بالكامل تقريباً، على تصوير هياكل المباني والمنشآت التاريخية. غير أن ريد (Reid 1989) ناقش أنه ليست فقط المباني التاريخية في المتاحف في الهواء الطلق تحتاج إلى أن تكون أصلية ودقيقة قدر الإمكان، لكن الأراضي والمناظر الطبيعية المحيطة بها تحتاج إلى ذلك أيضاً، كما أن هذه ينبغي أن تدرج في البرنامج الإرشادي؛ لأن المناظر الطبيعية المحيطة بالمجتمعات، أو الأعمال الفنية المأخوذة بعين الاعتبار، هي أيضاً جزء من البيئة التاريخية. وتفترض ريد أن هذا يمكن أن يتم من خلال البحث المستمر، عن أنواع النباتات واستخدام الأراضي، التي كانت موجودة تاريخياً في المكان الذي يجري شرحه. وقد أعطت مثالاً واحداً على موقع تاريخي، وهو مركز الحياة الريفية بكلايفيل في وسط إيلينوي، الذي قام ببحث الخصائص المادية، التي كانت موجودة خلال الأيام الرائدة للمجتمعات، في أحزمة التقاء البراري ومناطق الغابات الطبيعية. في هذا المثال، هذا البحث مهم جداً؛ لأن النمو السكاني، وإمدادات المياه المتاحة، أثرت بشكل كبير في أنماط الاستيطان بمنطقة كلايفيل.

الملخص والنتائج

Summary and Conclusions

قدم هذا الفصل استعراضاً مفصلاً للأصالة في نطاق السياحة التراثية. كثيراً ما تختلف السياحة التراثية عن غيرها من أنواع السياحة بناء على الأهمية الملقاة على عاتق نوعية الخبرات التي يأخذها الناس معهم لوطنهم. في الفصل السادس، نُوقشت أهمية الإرشاد للسياحة التراثية. الموقف نفسه ينبغي أن يؤخذ عندما يتعلق الأمر

بالأصالة ؛ لأن ذلك يؤثر على كيفية تقديم إرشاد المديرين للتراث، الذي بدوره يشكل تجربة السياحية. وقد يكون هذا صحيحاً من وجهة نظر العلماء والباحثين، ولكن من غير الواضح ما إذا كان السياح يرون الأصالة في الاتجاه نفسه. فهل يتعامل الأكاديميون في كثير من الأحيان، مع مفاهيم الأصالة التي لا تحمل إلا شبهاً قليلاً لما يقدره السياح حقاً في النهاية؟ هناك بعض سياح التراث الذين يسعون إلى تجارب حقيقية أصلية، غير أن معظم السياح كما ذكر بوتلر (Butler 1996: 93)، يريدون ببساطة أن ينتزعوا من الزيارة "مشاعر وذكريات طيبة". وقد نتج عن ذلك الأصالة المصطنعة لضمان وجود مشاعر وذكريات طيبة يمكن أخذها للمنزل في النهاية، وعلى الرغم من أن هذا الفصل وضّح عدداً من الأمثلة التي يمارس فيها هذا، فإن مشاهدة الشروحات ومظاهر تفاعل الناس، كثيراً ما تكون كافية في نظر معظم السياح، وحتى سياح التراث، للقول بأنها أصلية. من النتائج المؤسفة للأصالة المصطنعة إيجاد خبرات معينة قد أنتجت منتجاً تجارياً. فقد شعر مقدمو التراث بالحاجة للترفيه عن السياح بشكل أكثر من ذلك، وفي سبيل ذلك جازفوا بأضعاف التجارب وتنفير السكان المحليين. في الجانب الآخر خضعوا لما أُشير إليه في الفصل بالمبالغة الثقافية والتهويل، حيث أوجدوا التراث، أثناء حماسهم للترفيه، أحداثاً مشهودة إضافية، وطوروا المنتجات التي هي "أكثر أصالة، وغرابة" ولكن في الواقع لم يقدموا للسياح سوى الأوهام وماضٍ مشوه.

إذا قبل السياح أن تقدم لهم العوالم المشوهة، فهل ينبغي أن يقلق الباحثون إزاء الأماكن الخيالية (مثلاً أرض أوز)، والعرقية الإبداعية (مثل مسرح الثقافة في سنغافورة)، والمواقع غير الأصيلة (مثل المعالم المبنية في المتاحف في الهواء الطلق)، إذا ما استمر السياح في انتزاع التجارب البارزة؟ ربما كان من مهام مقدمي التراث السماح للناس بـ"إيجاد" تجارب أصيلة خاصة بهم، كما أشار مكنتوش وبرينتس (McIntosh and Prentice 1999)، وذلك من خلال الاستيعاب المدعم، والتصور المعرفي، أو الارتباط التاريخي، وقبول أن الأصالة يمكن أن تكون نسبية وذاتية عندما تتعلق بالمستوى الشخصي. أما بالنسبة للنقاش حول الدخلاء العرقيين، وما إذا كان ينتقص من تجارب الزوار أو لم يكن كذلك، وبالتأكيد فإن من المهم ضمان شعور الناس المحليين بأنهم جزء من التجربة بدلاً من أن يبقوا بعيدة عنها.

لا مفرَّ من حقيقة أن معظم مواقع التراث قد تم جعلها طاهرة، بمعنى أنها "جاهزة للزوار"، وعليه أنشأت ماضياً مثالياً. ويمكن لمقدمي التراث إن يجازفوا بإغضاب بعض الزوار، إذا حاولوا عمل ظروف قريبة من الواقع قدر الإمكان في العصر الحديث. ولكن في سبيل ذلك فإنهم يهيئون الفرصة للسياح لانتزاع تجارب دائمة لا تنسى. ومع ذلك، هناك أيضاً خطر حقيقي بتجميل الماضي، فقد يُخفف ما لديهم من تأثير على السياح. ولكي نكون منصفين مع مقدمي التراث، فإن الماضي في كثير من الأحيان يكون غير معروف، وإنَّ ما يعرض هو مجرد شرائح من التاريخ، التي نكون محظوظين بما فيه الكفاية لفهمها. من هذا المنظور، فإن المدى الذي يعرض فيه التاريخ في أسلوب أصيل قد أدخل في سياق صحيح.

في حين افْتُرِضَ، أن للأصالة أهمية مركزية في إطار الدراسات السياحية، فإن تطبيقها المحدود للعرقية، أو السياحة التراثية أو الثقافية، أدى إلى إعادة التفكير في معناها من أجل تبرير تحسين قوتها الإرشادية (Wang 1999). وبهذا المعنى قد يكون هناك أكثر من فرصة لتأكيد الجودة بدلاً من الأصالة. فقد ربطت الجودة في الآونة الأخيرة بالخدمة وإدارة التراث من وجهة نظر أصحاب المصلحة، وهي عملية تتطلب التنفيذ (Hall and McArthur 1998). وبالمثل، يمكن أن تشير الجودة إلى التجارب التي تُقدم، حيث يمكن القول بأن التوقعات، والخبرات المنشودة قد تمت من خلال توفير منتجات ذات جودة. وبما أن المظهر الديموغرافي لسياح التراث يميل أكثر لعكس المرحلة الوسطى (النضوج) إلى المراحل الأخيرة من دورة الحياة (Prentice 1993)، فإن مسألة النوعية قد يُعقد عليها أهمية أكبر في الأصالة في كيفية عرض الأماكن والتجارب في المستقبل للسياح.

الأسئلة Questions

١- ما أنواع الأصالة الأربعة التي وصفها كوهين؟ وإلى أي مدى يمكن الانتقال من نوع واحد إلى آخر؟

٢- إلى أي مدى تتشكل الأصالة داخل التراث بالثقافة، والسياق، والمكان؟

٣- هل أماكن التراث مذنبة في جعل الماضي مثالياً وطاهراً؟

مراجع لمزيد من القراءة Further Reading

Barthel, D. (1996) *Historic Preservation: Collective memory and historical identity*, Rutgers University Press, New Brunswick, NJ.

Cohen, E. (1988) 'Authenticity and commoditization in tourism', *Annals of Tourism Research*, **15**: 371-86.

McCannell, D. (1976) *The Tourist*, Schocken Books, New York.

Moscardo, G. and Pearce, P. (1986) 'Historic theme parks: an Australian experience in authenticity', *Annals of Tourism Research*, 13: 467-79.

Selwyn, T. (ed.) (1996) *The Tourist Image: Myths and myth making in tourism*, Wiley, Chichester.